– المحاضرة العاشرة: العولمة والتغير الاجتماعي

العولمة: تعني جعل الشيء عالمي الانتشار في مداه أو تطبيقه وهي أيضا العملية التي تقوم من خلالها المؤسسات سواء التجارية أو غير التجارية بتطوير تأثير عالمي أو ببدء العمل في نطاق عالمي.

وتعرف العولمة بوصفها مصطلح تم وضعه بهذا القالب اللفظي حديثاً ضمن مفردات اللغة العربية والذي جاء ترجمة للمصطلح الانكليزي (Globalization) والفرنسي (Globalisation) من أصل لاتيني واحد (Glob) الذي يعني الكرة الأرضية و بعبارة أخرى يعني (الكوكبة) أو الكونية. والعولمة: هي الدخول الجديد بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معاً في طور من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحداً أو نازعاً للتوحد

كما تعرف بأنها مفهوم يعبر عن حالة من تجاوز الحدود الراهنة للدول إلى آفاق أوسع وأرحب تشمل العالم بأسره، أي بمعنى أن العولمة تمثل الانفتاح على العالم والتأثير الثقافي المتبادل بين أقطاره المختلفة.

فالعولمة عبارة عن مرحلة من مراحل التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية أسهمت في إحداثها مجموعة من العوامل وبرزت لها العديد من المؤشرات الكيفية والكمية، وهي تمثل ظواهر برزت بشكل أوضح بعد دخول العالم مرحلة التصنيع المتقدم. وفق هذا التصور تكون العولمة ضرباً من التغير الاجتماعي (Social change) الحادث على المجتمعات الإنسانية، فالعولمة لا تعدو أن تكون نقلة من النقلات التي تخطوها المجتمعات الإنسانية نحو مزيد من التعقيد الاجتماعي المادي، والاعتماد على التقانة المعقدة.

الفرق بين التغير الاجتماعي والعولمة: الفارق الجوهري ما بين التغير الاجتماعي والعولمة يكمن في أن:

التغير يشير إلى نوع معين من أنواع التبدل أو التحول الحادث على تركيبة المجتمع سواء كان هذا التغير إيجابيا أو سلبيا تقدميا أو انتكاسيا، سريعا أو بطيئا، عميقا أو سطحيا..الخ، أما العولمة فهي حالة من التغير تشير إلى تحول المجتمعات الإنسانية نحو مزيد من التعقيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتقاني. بمفهوم أيسر، التغير هو مفهوم أشمل من العولمة إذ الأخير يستظل بمظلة الأول أو يدخل تحت صنوفه.

فالفارق بين مفهومي العولمة والتغير مثله مثل الفارق بين مفهومي التحديث الاجتماعي والتغير الاجتماعي، فهما من نفس الفئة ولكن لا يشيران إلى نفس الشيء، فالتحديث هو عبارة عن تغير، ولكنه تغير إيجابي عادة ما يكون مقصودا من قبل الجهات المسؤولة عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع. كذا مفهوم العولمة فهو يشير أيضا إلى ضرب من التغير الاجتماعي العام والذي ينم عن ازدياد درجة التعقيد الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع، غير أنه لم يكن مقصودا بالدرجة التي قُصد بها إحداث التحديث الاجتماعي بالمجتمع. هذا ناهيك عن أن العولمة تشير إلى التغير على مستوى العالم الإنساني، أما التحديث فهو يشير إلى التغير على مستوى المجتمع الواحد، وللدلالة على هذه التفرقة بين مفهومي التحديث والعولمة (وهى فروق كمية أكثر من كونها فروق نوعية) نجد بعضاً من المنتمين إلى علم الاجتماع بالدرجة الأولى يشيرون إلى عصر العولمة

بأنه عصر ما بعد التحديث الاجتماعي أو مرحلة ما بعد التصنيع، وهذا ما يشير بوضوح إلى أن هذه المرحلة الجديدة ما هي إلا امتداد للمرحلة القديمة والتي تمثل التحديث الاجتماعي.

التطور التاريخي لظاهرة العولمة: قد يسهم سرد تاريخ تطور المجتمعات الإنسانية في فهم مفهوم العولمة وكشف حقيقة التصورات الخاطئة التي وقع فيها الكثير من متناولي هذا المفهوم. لقد كانت المجتمعات الإنسانية تعيش في شكل تكتلات مستقلة عن بعضها بعضاً، وذلك بعد تأليف الحيوان واعتماد الزراعة البسيطة في أسلوب المعيشة، ومع الاستمرار في التطور دخلت المجتمعات مرحلة الإقطاع (مُلاك المزارع) ولقد زادت التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعد اكتشاف العالم الجديد فابتُكرت أول الآلات الصناعية وكانت تلك النقطة بداية دخول المجتمعات الإنسانية المرحلة الصناعية (الثورة الصناعية)، وهذه المرحلة تمثل بدايات التحديث الاجتماعي في المجتمعات المتقدمة،فبدأت ثقافة التحديث الاجتماعي والسياسي منذ ذلك الوقت في الانتشار بأرجاء العالم بعد التطور النسبي في وسائل الاتصال والمواصلات عبر المجتمعات.

لم يقف التطور والتعقيد بتركيبة المجتمعات الإنسانية عند هذه النقطة – بالرغم من وجود بعض المفكرين الذين ادّعوا أن هذه المرحلة(الرأسمالية الحديثة) من التطور تمثل نهاية الحركية التاريخية (الديناميكية) التي تمر بها المجتمعات الإنسانية عبر تاريخها الطويل، ومن أمثال هؤلاء الياباني فوكوياما بل زاد التطور بدرجات أكبر مما كان يتوقعه بعضهم في مجالات عدة منها الاتصالات والمواصلات والبحث العلمي في مجال الوراثة والفلك، والصناعات التقنية وفي مجال صناعة الإنسان الآلي (الروبوت)... الخ، كما تطورت أساليب استخدام الطاقة، الأمر الذي ترتب عليه التغير في المبادئ الاقتصادية والسياسية والتركيبات الاجتماعية لأبنية تلك المجتمعات على نحو ما نشهده في العالم اليوم.

هذه المرحلة هي باختصار مرحلة العولمة (أي جملة التطورات المعقدة التي طرأت على تركيبة المجتمعات الإنسانية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية إثر بزوغ جملة من المتغيرات جراء خروج العالم من مرحلة التحديث الاجتماعي ودخوله في مرحلة ما بعد التصنيع الثقيل والاتجار الحر، والحرب النووية).

البعد الاجتماعي للعولمة وأثرها على العلاقات الاجتماعية:

تقف الاسرة امام تحديات كبيرة نتيجة التطورات التي تحدث بسبب تكنولوجيا المعلومات والتقنيات الحديثة والاجهزة والتي غزت أسواق العالم وجعلت الأباء امام امتحان كبير وصعب في كيفية تربية ابنائهم التربية التي تحصنهم من الانزلاق في مغريات مايعرض ومايسمع بتقوية الوازع الديني لديهم وتعريفهم الصح من الخطأ وأخذ ما يفيد من التكنولوجيا، فالدين الاسلامي لم يدعوالى التخلي عن التطور في مجالات الحياة بل على العكس دعى الى العلم والمعرفة والاختراع وان يكون المجتمع ضمن قاعدة عريضة من السعة وان يتجاوز بيئته ومساحته وان لايتقوقع بزوايا محصورة من العالم الرحب الذي خلقه الله لعباده والخروج عن عالم العزلة والانفرادية بقوله تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن اكرمكم عند الله أتقاكم).

إن من أهم الوظائف التي تؤديها الأسرة للمجتمع هي وظيفة التنشئة التي يتمخض عنها تزويد المجتمع بأفراد متطبعين بطبائعه ومؤمنين بمبادئه وقيمه وأهدافه ويتكلمون بلغته ويعتمدون دينه وإيديولوجيته، فالأسرة هي التي تلقن الجيل الجديد لغة

المجتمع ومبادئه الدينية والأيديولوجية وتذكره دائما بتاريخه وأمجاده، ويلاحظ أن من أهداف العولمة الأولى هي كيفية هدم وتفكيك نسيج المجتمع من خلال تقويض الأسس الدينية التي تشكل ركائز مهمة لحياة أفراد المجتمع وتماسكه، وذلك من خلال ما طرحته من قواعد جديدة محاولة منها التلاعب بمقدرات الشعوب تحت مسميات وأفكار مستلهمة من الرؤية الغربية، وذلك بفرض ايدلوجية جديدة لها انتشارها بفعل ما تحققه تكنولوجيا المعلومات والتقنيات الحديثة التي لها تأثيرها الواضح على أبناء الأسرة الواحدة، من خلال عدة محاور أهمها:

1- **تغير نمط العلاقات الاجتماعية** والتواصل الأسري بين الأزواج وظهور علاقات جديدة بسيمات جديدة وهي المثلية الجنسية والزواج بدون عقد وجعلها مفاهيم مقبولة اجتماعيا، كذلك استهداف المرأة وما تواجهه من تحديات العولمة وأفكارها التي ترمي إلى محو خصوصيتها الأخلاقية والثقافية والتاريخية وإحلال الإباحية والمتعة من خلال استنساخ الرؤى الغربية بكل ما فيها من انحطاط خلقي وأخلاقي.

2- **تغير نمط الثقافة الأسرية** وخاصة علاقة الأبناء بالآباء وضعف التواصل الأسري بينهم من خلال التدفق الإعلامي وثورة المعلومات، ومن خلال تعدد الفضائيات وما تعرضه من برامج وأفلام بعيدة عن ثقافة المجتمع، كذلك الانترنيت والموبايل كلها تسميات أصبحت جزء لا تتجزأ من حياتنا اليومية، وكذا استهداف الطفولة من خلال عدة منافذ تطبق بها العولمة أهدافها، ولكن بشكل مبطن تحت ما يسمى الحفاظ على حقوق الطفل.

3- **شيوع ثقافة الاستهلاك ونشر القيم الفردية:** من الطبيعي أن تحتل ثقافة الاستهلاك والقيم الفردية مكانة بارزة ضمن عملية العولمة، بل أصبح الاستهلاك والقيم الفردية آليات مهمة في عملية العولمة، وفي هذا السياق يرى عالم اللغة الأمريكي نعوم تشومسكي أن العولمة هي التي تسعى في التعدي على القوميات من خلال شركات عملاقة ومستبدة يحكمها أولا الاهتمام بالربح وتشكيل الجمهور وفق نمط خاص، حيث يدمن الجمهور أسلوب حياة قائمة على حاجات مصطنعة، مع تجزئة الجمهور، وفصل كل فرد عن الآخر، حيث يدخل الجمهور الساحة السياسية، ويزعج أو يهدد القوى أو السيطرة في المجتمع.

4- **تهديد الهوية:** من اخطر التحديات هو ما تتعرض له المكونات الأساسية للثقافة العربية متمثلة في الإسلام واللغة العربية والوعي التاريخي بالذات والآخر، فمن الثابت أن عولمة الأعلام تعتمد على اللغة الانجليزية، كما أن صورة العرب والمسلمين في الإعلام الغربي المهيمن على الساحة الدولية لا تعبر عن الواقع، بالإضافة إلى أن الإعلام الغربي يتعامل مع العرب بحكم علاقات الاستعمار والتبعية بوصفها متفرقة لا كأمة واحدة، والأسرة العربية يجب ألا تدع مهمة الحفاظ على الهوية القومية وتنميتها للمدرسة وحدها، بل من الضروري أن تشارك فيها بفاعلية وبوعي، بحيث يكون الالتزام بتعاليم الإسلام والاعتزاز باللغة العربية والتراث العربي جزء أصيلا من الحياة اليومية داخل الأسرة يلتزم به الجميع قولا وفعلا.